ما لا يصح أن يقال

ما لا يصح أن يقال

محمد أيوب

تصميم الغلاف: أحمد الصبّاغ

رقم الإيداع: 2017/26642

I.S.B.N:978- 977-6640-22-1

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

نائب المدير : رامي غزالة

شؤون إدارية : رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

محمد أيوب عبد المنعم

ما لا يصح أن يقال

قصص قصيرة جدا



الإهداء

إلى ..

أبي الثاني الذي وهب لنا كل محبته وصدقه..

إلى عمي الحبيب "السيد جليم"

رحمة الله عليه

اليوم الأول

1

وجدت صخبًا وضوضاء وانفعالات مبررة وأخرى غير مبررة، تمعنت حتى أدرك ما الذي يحدث، لكني لم أصل لشيء، ولم يأتِ أحد ليشرحِ لي ماهية الأمر ، فقررت البكاء!

2

أرهقني البكاء نوعًا ما، ومع ذلك قررت الاستمرار ، كثيرون حاولوا التحدث معي لكني رفضت، رأيت أن الصراخ هو الحل، على الأقل الآن..

3

قلت لأمي: لا أريد أن يحملني، تزعجني قبلاتهم، لكنها لم تسمعني فعدت للبكاء..

4

رأيت ديمقراطية زائفة في الحجرة، وديكتاتورية واضحة في الضمائر ، واختاروا لي اسمًا، فضَّلت النظر لأعلى والاستمتاع ببعض الهدوء، هذا هراء لا يروق لي..

5

أمي رغم الآلام كانت تبتسم لي، وأنا رغم إحساسي بها انشغلت بآلامي ولم أفعل لها شيئًا..

6

لاحظت أن كثيرين يأتون لالتقاط صور معي وينصرفون، اعتقدت أن لي أهمية، وهذا أسعدني كثيرًا، وفيما بعد أدركت أن هذا المسخ جزء من الحياة..

7

كانت السعادة تغمرني وأنا أتعرف على أشقائي، وطلبت منهم أن نبقى معًا دائمًا، فابتسم أبي..

8

أغضبني أن جدران الغرفة بها ألوان كثيرة، وهممت بأن أطلب من أمي أن تعيد طلاء الغرفة باللون الأبيض فقط، فوجدتها نائمة..

9

قررت أن أكتب مذكراتي عن حالي كرضيع عمره يومان، لكنني تراجعت خوفًا على حياتي..

10

كنت أضحك وأنا أراهم يتذمرون من كثرة تبوُّلي وتبرُّزي عليهم، لم يعلموا أني أعترض، وأن هذا سلاحي الوحيد للمقاومة الآن، وليس ذنبي أنهم يعشقون الاستبداد ويقبلون به..

اليوم الثاني

1

رأيت الناس تهرول بمجرد سقوط الأمطار، لكنني بقيت واقفًا مبتسمًا، فضربتني أمي وعدنا للبيت..

2

قلت لأبي: أين المتعة في الهرولة خلف كرة لا قيمة لها؟!

نظر لي بامتعاض وأكمل متابعة المباراة.

3

مدير المدرسة قال أثناء زيارة الوزير: تراب هذا الوطن أغلى الأشياء .

فملأت جيوبي الخاوية من تراب الفناء، فضحك زملائي ومدير المدرسة والوزير!

4

كنت أتسلق الشجرة الكبيرة الموجودة في فناء المدرسة لرؤية "حنان" في شرفتها، ومنذ إزالتها لم أستطع رؤيتها، وعندما قررت تسلق البيت المجاور لها كي أراها وجدت نفسي حزينًا على الشجرة وأبكي من أجلها..

5

جذبتني ثمرة المانجو وأسالت لعابي، ضوء الشمس عليها جعلها أكثر إثارة، فقررت سرقتها حالًا، وفعلت في غفلة من صاحب المحل، لكن جارة لنا أمسكت بي من قميصي وعادت بي لصاحب المحل الذي ربت على كتفي وتركني بل وأعطاني ثمرة أخرى، لكن الشارع بالكامل تحدث عن سرقتي للمانجو!

6

ربط الشيخ أرجل حازم بحبال سميكة وظل يضربه بكل عنف رغم صراخه وبكائه، فتركت المصحف وكراستي والقلم وحذائي وهربت ولم أعد مرة أخرى حتى الآن..

7

صنعت طائرة ورقية وقلت لأبي سأسافر بها، فمزقها، ووقفت أشاهد طائرات أصدقائي التي لا تسافر..

8

سألني النجار في أول يوم عمل: لماذا اخترت النجارة؟!

فقلت له: كي أصنع مكتبة خشبية لا مثيل لها.

ربت على كتفي وأعطاني طبق فول ونصف رغيف.

9

رسمت بيتًا من طابق واحد، وبه حديقة خضراء، في كراسة الرسم، واقترحت على شقيقتي أن نعيش به، لكنها رفضت ولا أعلم لماذا؟

10

في صلاة العصر كان الجالس بجواري يقرأ بصوت مرتفع، ولم أستطع التركيز، بعد انتهاء الصلاة فكرت في إعلان تذمري منه، وعندما اقتربت منه طلب مني مساعدته في النهوض ومغادرته المسجد، ابتسمت له فقبلني!

اليوم الثالث

1

رأيت في المنام أشياء كثيرة سعيدة، فقمت مبتهجًا وفتحت النافذة أنتظر ما سيحدث، ولم يحدث شيء حتى عدت لفراشي مرة أخرى..

2

عم "مصدق" رزقه الله بتوأمين، وأصر أن تكون أسماؤهما "صادق" و"صدِّيق"، فقلت لأبي: لماذا هذه الأسماء تحديدًا؟!

فقال: لأنه كذاب!

3

فكرت في عمل إعلان مثيل لما يذاع في التلفاز، وأقدمه في الإذاعة المدرسية أمام الطلاب، وعندما قلت للمدرس المسؤول صفعني على وجهي، فلم أفكر في الموضوع مرة أخرى.

4

لمياء ابنة وكيلة المدرسة كانت جميلة ورقيقة للغاية، ولا يجرؤ أحد على التحدث معها سوى "إبراهيم" ابن ناظر المدرسة!

5

كنت أنظر للسماء، كثيرًا ولأيام متصلة، باحثًا عن مكان يصلح لبناء منزل، وعندما وجدت، سقطت الأمطار بشكل مفاجئ فتراجعت عن الفكرة.

6

زجاجة المياه الغازية كانت بثلاثين قرشًا وكان مصروفي اليومي خمس وعشرين قرشًا، وكان البقال يرفض إعطائي زجاجة إلا بالسعر كاملًا، فكنت أدعو عليه حتى يموت وأستطيع أخذ ما أريد، لكنه لم يمت.

7

قالوا إن الوزير سيأتي لزيارة المخبز، فقررت الذهاب إليه للشكوى من محسوبية صاحب المخبز وأولاده، وأنني أقف في الطابور ساعتين حتى أحصل على عشرة أرغفة، لكني وجدت جنودًا كثيرين حول المخبز، وقالوا لي: ممنوع الدخول. مع أنني رأيت من بعيد أن المخبز يعمل، وهناك طابور هادئ مكون من فردين، والوزير سعيد للغاية!

8

قالوا لنا إن هذه الأرض رويت بدماء الشهداء الطيبين، ومع ذلك أخرجت قمامة وصرف صحي وبؤساء، أزعجني هذا، لكني لم أصرِّح به لأحد، ولا أعلم لماذا؟!

9

في أول محاولة لي للهرب من المدرسة أمسكني أبي مصادفة، ومن وقتها أصبحت اختار التوقيت المناسب للهروب..

10

قلت لإمام المسجد إنني أحب للغاية لحظة الدعاء بعد انتهاء خطبة الجمعة، وأشعر بالدفء عندما نقول "آمين" معًا، وطلبت تكرار ذلك في كل الصلوات، فربت على كتفي وابتسم، لكنه لم يفعل ما طلبته منه..

اليوم الرابع

1

قلت لأبي: أين جدتي؟ فبكى، كررت سؤالي، فوضع يديه على عينيه وانصرف، فأدركت معنى الوجع..

2

سألت العجوز المتجوِّل بحماره وعربته الخشبية: لماذا تبحث عن الأشياء القديمة فقط وتشتريها؟!

فقال: لأن في القديم كل شيء!

3

رأيت أصدقائي يرسمون على جدران المدرسة قلوبًا تخترقها أسهم وعليها حروف، ففعلت مثلهم لكن دون حروف.

4

كنت أتنافس مع خمسة من أصدقائي على العمل مع "عم مجاهد"؛ لأن من سيعمل معه سيأكل من السندويتشات كما يحب، رغم أن سعر رغيف الكبدة البلدي كان 25 قرشًا فقط!

5

بكيت على "محمد الدرة" بشدة، وعندما جاءني في المنام قلت له: اطمئن، سنأخذ حقك، لكن أبي منعني من الخروج في المظاهرة.

6

أحرقنا العلم الإسرائيلي عدة مرات، وهتفنا كثيرًا، وانتظرت "محمد الدرة" كثيرًا في المنام كي يأتي وأقول له ما فعلناه، لكنه لم يأت حتى الآن!

7

قلت لأمي: سأقضي على الفقر، وسأعيد بناء المنازل المتهالكة، وسأضرب مدير المدرسة أمام كل الطلاب على وجهه، فقامت منزعجة، وظلت تقرأ آيات من القرآن الكريم حتى منتصف الليل!

8

يحيى قال لي: لماذا يا صديقي يريدون إفساد فرحتنا باللعب في الترعة؟ ما هي تلك البلهارسيا التي يتحدثون عنها؟

فقلت: البلهارسيا تعني الكذب!

9

عاتبت الدكتور "طه حسين" في برقية أرسلتها له، قلت بها: لماذا قلت إن التعليم كالماء والهواء، مع أنك تعلم جيدًا أنهما ملوثان للغاية!

10

اقترحت على عشرة من أصدقائي بناء مدرسة دون مدرسين وطالبات وأسوار، ففروا هاربين وتركوني وحيدًا!

اليوم الخامس

1

قررت مساعدة الناس على العودة للضحك مرة أخرى، وذهبت لاستئجار محل لهذا الغرض، وعندما سألني صاحب المحل عما أريد بيعه، قلت له عما أنوي، فضحك ثم ركلني وسقطت في الأرض فضحك المارة والأطفال!

2

سألت مصطفى عن فوائد التدخين، فأعطاني سيجارة، وبذلك انتهى الأمر!

3

اقتحمت اجتماع أهالي الحي وقلت: الحل الوحيد لمنع اللصوص من المجيء إلينا هو أن نكتشف شيئًا يجعل الأيام بلا ليل وتظل الشمس ساطعة دائمًا، فحملوني على الأعناق، مع أني لم أكتشف شيئًا!

4

قلت لمدرس التاريخ: لماذا يصنعون الثورات؟

فقال: لا أعلم!

فجلست مرتاح البال نوعًا ما.

5

قلت لجدي: ما معنى كلمة "الوهم"؟

فقال: أن تقرأ الصحف يوميًّا!

6

رأيت في المنام شخصًا جميلًا يقوم بتوزيع الحلويات الشرقية والغربية على أهالي الحي، وعندما سألته: من أنت؟

قال: أنا الحلواني..

7

عندما رأيت الناس تتضرع في مسجد الحسين، اطمأن قلبي، قلت زيارة للمسجد بعد امتحان اللغة الإنجليزية وسأنجح، لكني رسبت رغم الزيارة!

8

عاد عم نبيل من الخليج فاستقبلته الحارة استقبالًا حارًّا للغاية، لكنه أخذ أسرته وعاد في نفس اليوم، لم يحتمل رائحة الحارة!

9

بعثت تسعة خطابات، وأرسلت أزهارًا ملونة، ومع ذلك "هند" أحبَّت صديقي الذي أرسلت معه هذه الأشياء ورفضتني!

10

سألت أبي ببراءة: لماذا لا أستطيع الطيران؟

فوجدته يبكي ثم انصرف!

اليوم السادس

1

وقفت أمام البحر أصرخ فيه مرددًا ألفاظًا خارجة لكنه لم يعبأ بكلماتي، فبكيت، فعادت الأمواج مرة أخرى!

2

قالوا لي: اهتم بدراستك، تصنع مستقبلك.

فقلت: نحن لا نملك من الأمر شيئًا!

3

أدهشني أن "أبو جرجس" يتجول بعربته ليلًا ونهارًا ينادي على "البطاطا" بمنتهى الحماس، ومع ذلك هو فقير منذ عشرين عامًا، وعند ذهابي لسؤاله قالوا لي إنه قد توفي!

4

منذ أن أخبروني في الكتب الدراسية بأن فصل الربيع يأتي فتنتشر الأزهار ويكون الطقس صافيًا ورائعًا، وأنا أبحث عن تلك الأزهار وعن هذا الطقس، حتى سقطت في بئر للصرف الصحي!

5

أمي قالت لي: السرقة حرام، فقطعت يدي..

وأصدقائي قالوا لي: الكذب يهلك، فقطعت لساني..

وعندما سخروا مني، قررت قتلهم فلم أستطع!

6

كان الناس في الحارة يصبون لعناتهم على حرارة الطقس، لكن عم مهدي حارس المسجد كان سعيدًا بها، وعندما سألته، أعطاني مشروب تمر بارد ولذيذ.

7

قررت الغش في امتحانات نهاية العام، وبحثت عن طرق مبتكرة أنجو بها، وبعد بداية الامتحان بخمس دقائق انتشر الغش كالطاعون ورسبت!

8

اكتشفت جهازًا لقياس نسبة الشر داخل الإنسان، وفضلت أن تكون التجربة الأولى على مجرم يسكن حارتنا، وعندما جاءت النتيجة صفرًا، حطمت الجهاز وعدت للمنزل سعيدًا!

9

وقف رجال الحارة يتبولون على جدران البيوت، فبكيت من شدة الخوف وسقطت المياه بداخلي!

10

أثناء زيارة الوزير الجديد لحارتنا طلبت منه طلاء الجدران بألوان زاهية كالأحمر والبرتقالي والأصفر، فأمر بتحرير محضر ضدي، لكنه تنازل بعد توسل أبي له.

ما تبقَّى ولا يصح أن يقال!

1

رأيت الشرطي وهو يصفع بائعة الخضروات في السوق، وعندما اعترضه ابنها صفعها أيضًا أمام كل من في السوق، لكن عندما سألتني أمي: لماذا تبوَّلت على نفسك، قلت من كثرة الضحك!

2

صنعت سيفًا ودرعًا واقتحمت السوق والبيوت والشرر يملأ عيني، فهرول الجميع من أمامي، وأصبحت الحارة فارغة، لم يتبق إلا الجهل واقفًا أمامي ثابتًا مبتسمًا.

3

أجبرت كل سكان الحارة على الخروج والوقوف أمامي، ثم قلت لهم: اللعنة عليكم جميعًا!

فجاء التصفيق منهم حارًّا للغاية!

اليوم السابع

1

رفقًا بظروفي المادية الصعبة، أصدقائي قرروا تعليمي السرقة كي أحيا مثلهم في نعيم، وبعدما أصبحت محترفًا قررت رد الجميل لهم وتعليمهم شيئًا جديدًا، وسرقت كل ممتلكاتهم واختفيت.

2

في ساحة الجامعة اعترفت لها بحبي، وقلت لها سأمزق المجتمع كله أمامك، وانبهرت بحماسي، وفي اليوم التالي مزقت ورقة كبيرة مكتوب عليها المجتمع، فبصقت على وجهي أمام زملائي وانصرفت!

3

ابتعتُ كتبًا قديمة وروايات عالمية من سور الأزبكية وجلست على النيل أقرأ بنهم كي أكون مثقفًا، فوجدت الجميع يضحكون، ألقيت الكتب والروايات في النيل، فعاد كل شخص لما كان يفعله!

4

وجدت مظاهرة عظيمة تردد "لا يأس مع الحياة، لا يأس مع الحياة".

سعدت بهم، لكنني رفضت السير معهم، وفي اليوم التالي قرأت في الصحيفة أنه أثناء سيرهم سقط عقار قديم عليهم ولم يتبق إلا زعيمهم حيًّا، ثم انتحر حزنًا على رفاقه.

5

بعد تكرار رسوبي في المادة "م"، رسمت بورتريه للمعيد، فتجاوزتها، ثم قدمت بورتريه مائي لرئيس القسم، فجاء تقديري "جيد"، ثم قمت بنحت تمثال للسيد العميد، فكنت من أوائل دفعتي!

6

اجتمعت بفنجان القهوة والصحيفة وسجادة الصلاة، وطلبت منهم حلول عاجلة لمشكلاتي المتعثرة، فقرروا تشكيل لجنة عليا لمتابعة الأمر وعرض النتائج على السادة المسؤولين!

7

لأنني جئت متأخرًا دقائق، قال لي مدرس المادة أمام آلاف الطلاب: أتعتقد أنها جامعة السيد الوالد؟!

فقلت له: عفوًا، إنها جامعة السيدة المصون "أمك"!

8

قلت لصاحب المخبز: يجب أن تكون المعاملة أفضل من ذلك، أنا طالب جامعي.

فقال لي بحنان: لا تغضب مني يا ولدي.. وطردني من العمل!

9

من متابعتي لها تأكدت أنها تحب الزهور، فقررت في أول لقاء بيننا أن أتباع لها زهورًا كثيرة، كنت أحبها ولا أجد لذلك سبيلًا، وعندما حدث والتقينا وجئت بالزهور، قالت: لا أحب هذا النوع!

10

قالوا لي: ما أكثر شيء أحببته في العهد الجديد للبلاد؟

فقلت: الحرية والمحبة والعدل.

قالوا: وما أكثر الأشياء التي ترفض وجودها؟

فقلت: المتخاذلين والكاذبين أمثالي!

اليوم الثامن

1

قلت لبائع الصحف: ما أكثر صحيفة تثق بها؟

قال: لا يوجد ما أثق به عدا شيئًا واحد!

فقلت: إذن فلماذا تعمل بائع صحف؟

قال: لأنني لا أحب الدعارة!

2

وجدت حماسًا شديدًا وزحامًا غير عادي أمام لجان انتخابات اتحاد الطلبة، وأسعدني ذلك كثيرًا، وسألت المرشح الأقوى: ما أهم شيء ستسعى لتحقيقه؟

فقال: القبض على أصحاب الشعارات ومنظمي المظاهرات، فصفَّقت له بشدة وانصرفت.

3

وجدت كل جدران المدينة يتم طلاؤها باللون الأبيض، انزعجت وبكيت، وحاولت إقناعهم بأهمية باقي الألوان، حتى قال لي شيخ كبير: هذا اللون الوحيد المتاح.

4

سألت أبي: لماذا غضبت أمي عندما أخبرتها بأنني أحب زميلة لي؟

فقال: لأن الحب للأغنياء فقط.

5

سألت مطربًا شهيرًا: لماذا أنتم محط أنظار الجميع؟

فقال: لأننا نغني فقط.

6

بدأت التجارة بعرض بعض الأفكار الجريئة، ولم يقترب مني أحد، سوى رجل شرطة اقتادني للقسم، وسألني الضابط: ما الذي تريده تحديدًا؟

فقلت: تعلم التجارة.

فقال: ما رأيك نعلمك السياحة؟

انقبض قلبي ولم أستطع الرد.

7

كتبت أحلامي وطموحاتي على عشرين ورقة، وبدأت في إلقائها في البحر الواحدة تلو الأخرى، ثم كتبت اسمي وعنواني في ورقة منفصلة، وقبل إلقائها وجدت البحر قد جف تمامًا!

8

سألني الطبيب: لماذا جاؤوا بك إلى هنا؟

فقلت: لأنني أتبول على البشر. فربت على كتفي وأقرَّ بخروجي.

9

جاء مستثمر أجنبي لحارتنا، وانطلقت الأغاني، وقال مقدم الحفل إن السيد "ن" قال إن من سيرقص أكثر ستكون له مكافأة كبيرة، فوجدت كل الحارة ترقص، وتمنيت البكاء وقتها، لكني لم أستطع؛ لأنني كنت أرقص معهم!

10

قال الكلب: أنا أبذل جهدًا كبيرًا في الحراسة دون أن يشكرني أحد.

وقالت القطة: أنا أساعدهم في لهو أبنائهم.

وقالت البقرة: أنا أخرج لهم ما يطلبون.

وقال الأسد: أنا حزين لأنهم يعاملونني كتحفة للتباهي بها، وهذا إهانة لي.

فقالوا جميعًا: وما الحل؟

فقال الأسد: ولا تنسوا أننا مجرد حيوانات!

اليوم التاسع

1

تقدمت للعمل بالمسرح رغم ضعف المقابل المادي؛ إيمانًا بأهمية الفن، ولشغفي به، ولم يزعجني لقب كومبارس، لكني اشترطت أن أقوم بدور المهرج، فاعتذروا لي، وقالوا إن هذا الدور تحديدًا تقدَّم له ملايين الشباب أمثالك، صافحت المسؤول وانصرفت.

2

حرصت على حضور دروس الفقه في المسجد، لكني لم أدرك شيئًا، ثم اتجهت لندوات الثقافة والشعر، لكني لم أدرك شيئًا أيضًا، ثم تتبَّعت المؤتمرات الحزبية والسياسية فأدركت كل شيء!

3

سألني صديق: هل تحب التصوير؟

قلت: لا.

فقال مندهشًا: لماذا إذا كل هذا الحرص على حضور معارض التصوير؟

فقلت: لأنها طريقة خبيثة للكذب، أحرص على رؤيتها حتى لا أنخدع في المزيد من الكاذبين!

4

سألني الضابط: أنت يحيى؟ أم ياسر؟ أم مصطفى؟ أم حسين؟

فقلت له: أنا محمد.

فقال: اقبضوا عليه!

5

استيقظت مبكرًا وذهبت للسوق الكبير، وطلبت مقابلة أكبر التجار، وقلت له: أريد كوكبًا خاصًّا أحيا به وحيدًا بلا إحباط أو يأس أو معاناة، وسأدفع ما تريد.

فلطمني بعنف ولم أستطع التفوه بكلمة، وانصرفت باكيًا بمزيد من الإحباط واليأس والمعاناة!

6

اعترضت على أن يكون المسمى "مجلة حائط"، وطلبت التصويت على ذلك، لكن لم يوافقني أحد، وأصبحت أنا القارئ الوحيد للحائط والمجلة!

7

قلت لصديقي: أريد مساعدتك، كيف أعبِّر لها عن إعجابي بها؟!

فقال: لا تذهب للجامعة مرة أخرى!

8

حلمت بأنني أقوم بمظاهرة كبيرة وأصرخ بقوة، وفجأة ظهرت أمي تحمل شمعة حمراء اللون، واستيقظت سعيدًا للغاية دون أن أعي لماذا؟

9

ذهبت للبحر أستمتع بقليل من الهدوء، فوجدت صوتًا غريبًا يقول: أنا سعيد أنك قد جئت، كنت بحاجة لشخص أمين أشكو له همومي!

فقلت: من المتحدث؟

فقال: أنا البحر !

فانتابني ضحك هيستيري.

10

قلت لأبي: أنا حزين لأسباب عديدة.

فقال : لا تذكرها، أعلمها جيدًا، وبكى فبكيت!

اليوم العاشر

1

قلت لمحمد منير: رغم أنني لا أحب الغناء.. لكني أحبك.

ابتسم وقال: لماذا؟

فقلت: لأنك تنتمي للجماهير، فابتسم مجددًا وتركني.

2

صرخت أمي بشدة عندما استيقظت فلم تجد أي أبواب في شقتنا، وقبل أن تسترسل في الحديث، قلت لها: لا داعي للقلق.. الأبواب في أيد أمينة، وهي أشياء لا قيمة لها.. فسقطت مغشيًّا عليها.

3

تضامنًا مع طفل يتسول طعامه يوميًّا، قررت التوقف عن الطعام والحديث والأحلام لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع وجدت أن عدد المتسولين قد تضاعف، ووجدت أن قلبي لم يعد يتأثر!

4

بكيت بشدة لوفاة الأديب العالمي نجيب محفوظ، وامتنعت عن الطعام أيامًا طويلة، فسألوني: لهذه الدرجة كنت تحب هذا الرجل؟

فقلت: لا!

فقالوا: إذًا لماذا كل هذا الحزن؟

فقلت: لأنه كتب الحقائق في أحلام فترة النقاهة وتركنا للمواجهة!

5

سألتني فتاة لا أعرفها عن أكثر الأشياء إزعاجًا في حياتي.

فقلت: الأحلام!

فقالت: وما هو مفهوم الأحلام؟

فقلت: لا أعلم. وانصرفت.

6

في افتتاح المخبز رأيت الوزير لأول مرة، انبهرت بهيئته، وشعرت بأنه طيب، وتجرَّأت كي أقول له إن الدعم لا يصل لمستحقيه، وقبل أن أتحدث وجدت نفسي غائبًا عن الوعي!

7

بعد حفلة التخرج قالوا لي بكل ثقة: اطلب ما تشاء وسيأتِك، فأنت تستحق..

فقلت: تذكرة سفر للهجرة!

8

دون أن أطلب شيئًا وضع النادل أمامي "ليمون"، وابتسم قبل أن ينصرف، بعد ذلك جاء النادل الثاني ورحب بي وانصرف!

فقلت لصاحب المقهى: هناك شيء غامض، لماذا كل هذا الاحتفاء بي، أنا يوميًّا هنا؟!

فقال: نحن نحبك.

اندهشت، ولم أجد ردًّا يناسب غرابة الموقف!

9

وضعت في خانة أقوى الاحتمالات ابتعادها، وربما خيانتها.

ظل قلبي يغني لها، وفجأة توقف، قلت وإن خانت سنكمل!

قال: ابحث عن ساذج يشتري قلبك لأنه لم يعد يصلح.

عدت أقرأ احتمالاتي، لم أجد طرقًا للشراء أو البيع، لكني وجدت طرقًا عديدة للندم!

10

اقترحت عليهم أن نصبح أشرارًا، نتعلم كل يوم رذيلة جديدة، بدأنا بالكذب، ولم نكمل باقي الأيام!

اليوم الحادي عشر

1

في المدرج وجدت آلافًا لم أستطع حصرها تهتف للكرة واللاعبين، فسألت: لماذا نحن هنا؟

فقال صديق: لأننا نحب بلادنا وندعمها.

فقلت: إذًا لماذا لا ندعمها بنفس الحشد ولكن في أماكن أخرى!

وكانت المرة الأخيرة لي في دخول الاستاد.

2

سألت إمام المسجد: هل الفقر شيء جيد؟

فقال: لا!

فسألته مجددًا: لماذا إذًا التمسك به؟

فقال: استغفر ربك يا ولدي!

3

بكيت بشدة في جنازة "عم عباس"، وارتجفت عندما رأيت جسده يوارى التراب، اندهش الجميع، وسألني شخص لا أعرفه: هل هو جدك؟

فقلت: لا، لكنه الوحيد الذي يقول الحق في حارتنا.

4

سألني مراسل لقناة فضائية: ما الحل في ارتفاع الأسعار؟

فقلت له: أن نرتفع مثلها.

5

سألني صديقي: لماذا كل هذا البحث عن عمل؟

فقلت له: لأننا لا بد أن نعمل.

فابتسم بشكل سافر، فسألته: لماذا تضحك؟

فقال: لأننا لا بد أن نضحك!

6

وجدت زحامًا غير عادي وضوضاء، ومع ذلك الوجوه في الشارع تبتسم.. فسألت: ما الذي يحدث؟

فقالوا: الطريق ناحية اليمين أغلق تمامًا، اليسار فقط متاح!

7

بذلت جهدًا كبيرًا حتى أستطيع الوصول إلى الأديب الكبير يوسف السباعي، وبعد ترحيبه بي، قلت له: روايتك أرض النفاق أفسدت المجتمع ورسخت الاعتراف بالمفاسد.

فابتسم وقال: هذه الأرض لا تقرأ الروايات ولا تعترف بها من الأساس!

8

سألتني عن أحلامي، فقلت: العدل والخير والمحبة.

فقالت: أنت وغد وبلا مبادئ. وانصرفت غاضبة!

9

سألت أبي: لو عاد بك الزمن، ماذا ستفعل؟

ابتسم وقبلني وقال: لا داعي للإجابة، ستعلم أنت كل شيء!

10

قلت لا بد أن يكون أول مرتب لي سبب سعادة كل حارتنا، فقمت بشراء مئات البالونات، قلت سأصنع حالة بهجة، وبدأت أقذف البالونات من أعلى البيوت حتى تملأ الحارة وتهبط على أهالي الحارة، وبمجرد هبوط أول بالونة انتشر الفزع وأصبحت الحارة خالية.

اليوم الثاني عشر

1

ذهبت لنهر النيل وقلت له: تكلم بصدق، ما هي أبرز مشكلاتك؟!

لم يتحدث.. لكني انصرفت فور سماعي لبكائه!

2

وجدت صورتي تملأ جدران المدينة، وكل الناس تتحدث عني، فقلت: أخيرًا أدركوا مدى أهميتي!

فقالوا: لا، بل هذا الزمن المنافقين!

3

سألني الطبيب: ممَّ تشكو؟!

فقلت: من معاملات وأخلاق البشر.

فقال: عفوًا، لا دواء لهذا الهراء!

4

ياسمين تعشقني، تحبني بجنون، لكنني لا أشعر بها، قالوا لي: أنت ظالم.

فقلت لها: أنا لا أشعر بك ولا أحبك.. فهل أنا ظالم؟

فقالت: أنت العدل نفسه!

5

سألت أبي: ما أرخص شيء في الحياة؟

فقال: الإنسان!

6

لي أصدقاء من الصخور من حين لحين ألتقي بهم، وفي زيارتي الأخيرة وجدت لديهم صحفًا كثيرة، وعندما سألت: قالوا نبحث عن فرصة عمل!

7

وجدت حارتنا خالية من البيوت، لكني تقبلت الأمر، ما أزعجني أنني لم أجد أحدًا كي أسأله ماذا حدث؟!

8

لم يسمح لنا بدخول الاستاد لمشاهدة مباراة الفريق القومي إلا بشرط قبول ارتداء قناع على شكل كرة قدم، وافقنا ودخلنا الاستاد ولم نشاهد شيئًا، فأبلغونا بأن فريقنا قد فاز!

9

قلت لمصطفى: لماذا يتبول بعض الناس في الشارع؟!

فقال: أنت وقح!

10

كان الشاطئ ممتلئًا بالأطفال والألعاب، وأنا وحيد حزين لا أتحدث مع أحد، حتى جاءني شرطي وأجبرني عليَّ مغادرة الشاطئ، فاعترضت وسألته عن السبب، فقال: لن نسمح لك بإفساد فرحة المواطنين!

اليوم الثالث عشر

1

وجدت أبي يبكي للمرة الأولى أمام الناس، انزعجت، وقلت له: ما الأمر يا أبي؟!

ربت على كتفي وقبَّل رأسي وقال: ما الأمر يا بني؟!

2

لا أعلم لماذا كنت أترقَّب أبي هكذا، تعجبت من عودته المبكرة وجلوسه في غرفته وحيدًا دون إضاءة، وعند مغادرتي للمنزل، طلبني، وقفت أمامه، أضاء الغرفة ثم ابتسم لي وقال: انصرف يا بني!

3

ارتدى أبي الجلباب الأبيض وملأ المنزل بعطر جميل، وأثناء ذهابنا لصلاة الجمعة بالمسجد المجاور لمنزلنا، سألني: هل قرأت سورة الكهف اليوم؟

فقلت: لا.

ابتسم وقال: حافظ على قراءة القرآن يا ولدي!

4

تشاجرت مع زميل لي وضربته لأنه سب عائلتي، ومع ذلك ذهب مع أبيه واشتكى لأبي، جئت مسرعًا أوضح لأبي الأمر، فقابلني زميلي وقال: آسف، ما أعظم والدك!

5

قلت لأبي: أراك للمرة الأولى في حياتك تريد شراب النعناع، فلماذا؟!

فقال: لا أعلم، وابتسم.

6

قلت لأبي: الحكم تعمَّد عدم احتساب ضربة جزاء صحيحة لنادي مدينتنا؟! هذا ظلم واضح، ولا يجب السكوت عليه!

ابتسم أبي فقط ولم يقل شيئًا، قلت: يا أبي فريقنا لا يستحق هذا.

فقال: افعل ما تراه صحيحًا.

7

صرخت أمي قائلة: أباك، أباك، أباك!

نظرت إليها، لكني لم أقل شيئًا ولم أبكِ!

8

امتلأ البيت والشارع بأهلي وجيراني، وارتفع صوت القرآن، وفتح المسجد أبوابه، فسألني عابر: ما الأمر؟!

فقلت له: لا أعلم شيئًا!

9

دفعوني كي أقف خلف الإمام مباشرة، رفضت، لكنهم أجبروني، نظرت خلفي فوجدت المسجد يمتلئ بالبشر، امتلكني الرعب، سألت الإمام: أين أبي؟

فبكى ولم يقل شيئًا!

10

تركت سرداق العزاء الضخم، وذهبت لغرفتي وبدأت في كتابة قصة قصيرة جديدة، أمي قالت: هذه القصة لن يقرأها أبوك قبل النشر.

فعدت للسرداق وأنا أبكي للمرة الأولى!

ما تبقى ولا يصح أن يقال!

1

وجدت السيدة أم كلثوم مع عبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب على مقهى شعبي في الحارة المجاورة لنا، ابتعتُ سكينًا جديدًا وقررت قتلهم، وعندما عدت للمقهى لم أجد أحدًا!

2

صديقي قال لي: لماذا لم تتبع جنازة صديقنا الشهيد؟!

فقلت: لأنني لا أجرؤ على الحديث معه!

3

سألني الطبيب: لماذا فعلت كل هذا؟ الموت حق، أين تعليمك وثقافتك؟

فقلت: أتمنى عتاب أبي، لقد ذهب دون أن يخبرني!

اليوم الرابع عشر

1

قلت لأمي: أنا أحب دعاء، رغم أنني متأكد أنها تكذب في كل شيء!

فقالت لي: تحبها لأنك مثلها!

2

في طريقي للعمل وجدت أن الألوان قد اختفت من الحياة كلها بشكل مفاجئ عدا الأبيض والأسود، فهرولت لقسم الشرطة لتحرير محضر بذلك، وعندما أخبرتهم بأن الألوان قد اختفت، سألوني عن الناس، فقلت: أصبحوا أيضًا أبيض وأسود، فسجدوا لله شاكرين ولم يحرروا لي المحضر!

3

وقف أمامي، فتذكرت أن أباه كان يصفعني ويسب والدتي بألفاظ فاحشة، الجميع يحترمه ظنًّا أنه أحد أقاربي، لا أحد يعلم أن هناك ثأرًا سيعود الآن!

4

يا صديقي.. أنا أتحدث إليها وتنهرني، لذا قررت ألا أتحدث معها مرة أخرى، ومن شدة رقتها ألا أنظر إليها مرة أخرى، ثقافتها أدهشتني لذا قررت ألا أتناقش معها مرة أخرى.

ما يقلقني أن القرارات المؤجلة تتزايد دون رغبة في تنفيذها!

5

أحضرت ثماني ورقات بيضاء ودونت بكل ورقة كلمة واحدة، ثم مزقتها قطعًا صغيرة، اندهشت أمي وسألتني: ماذا تفعل؟!

فقلت: إنها معارك الحياة!

6

قررت زيارة أحد مساجد أولياء الله الصالحين، وعندما رأيت ما يحدث هناك، قررت ألا أعود هناك مرة أخرى، لكن في المساء أعددت نفسي كي أبدأ التسول من صباح باكر هناك!

7

سألت زميلًا لي: ما معنى الخيانة؟!

فقال: لا داعي لهذه الأسئلة!

8

أخذني الحنين للسباحة في الترعة وفعلت، فسألني رجل يعبر الطريق: لماذا فعلت هذا؟

فقلت: لأن البلهارسيا رحلت من هنا!

9

سألت صاحب المقهى: ما فوائد المخدرات؟

فقال: إنها ترحمني من أمثالك!

10

أرسلت عدة خطابات لجهات عمل بالخارج، لكن لم يأت رد لمدة سنوات، وعندما سألت في مكتب البريد قالوا: لأنك لم تكتب عنوانًا لك!

اليوم الخامس عشر

1

اقترضت لظروف صعبة للغاية، وبالتالي كتبت إيصالات أمانة ضمانًا كي ألتزم، وعندما سألني القاضي: لماذا ضيعت الأمانة؟!

فقلت: الأمانة أساسًا ضائعة، وخرجت بريئًا.

2

سألت كريم: لماذا كل هذه السعادة؟!

فقال: أصبحت صحفيًّا.

فقلت: وهل تتوقع أن تستمر سعادتك؟!

فقال: لا!

3

تحول الشارع لبركة مياه صرف صحي، وانتشرت الحشرات والرائحة الكريهة، وتوقعت أن ينفجر الناس لكن عندما حضر المسؤول بنفسه قال: ما الأمر؟

فقال الناس: لا يوجد شيء، كان الله في العون!

4

أصبحت ساحرًا مشهورًا، ولدي مريدون كثر، وعندما أغضبني أحد قررت عقابه، كنت أذهب لمنزله ليلًا وأجعل حوائط منزله تختفي ليرى الناس ما يحدث بداخله، حتى جاءني اليوم التالي قائلًا: أشكرك على ما تفعله، هذه أقصى طموحاتي!

5

سألتها بمنتهى الصرامة: كيف يحب شخص امرأة يعلم جيدًا أنها يوميًّا في فراش مختلف؟!

فقالت: لا أعلم.. سوى أنك تحبني!

6

أخبرت المريض بأن العملية الجراحية خطيرة وقد تؤدي إلى الوفاة.

فقال: وهذا ما أريده، أنت مجرد طريق!

7

سألتها: ما الإبداع في الرقص عارية؟

فقالت: في كونك تأتي وتدفع لمشاهدة هذا!

8

اقترحت على زملائي في مجلس القرية استخدام الطاقة الشمسية بدلًا من الوقود، أحدهم ظل يضحك والآخر ركلني بالحذاء، ورئيس المجلس اقترح شطبي من المجلس وانتهى الأمر.

9

انطلقت المباراة والمدرجات خالية، وعندما فاز فريقنا القومي، وجدنا الجماهير تملأ كل أركان الملعب، وعندما سألن: ما الذي حدث؟!

تم القبض علينا.

10

قلت للقطة البيضاء: أصبحت شرسة، فاعتذرت ووعدت أن تعود كما كانت.

وقلت للكلب الأسود: أصبحت ساذجًا وسنقوم بطردك، فاعتذر والتهم القطة البيضاء!

اليوم السادس عشر

1

سألت سياسيًّا كبيرًا: ما الفرق بين الموت واعتزال الناس؟!

فقال: الديمقراطية.

2

من مبدأ الأخذ بالأسباب، ذهبت لملتقى التوظيف المزمع إقامته للقضاء على البطالة، ومن وسط آلاف الشباب يختارني الوزير للحديث، ويسألني: ماذا رأيت هنا؟

فقلت: المعاناة كما لم أتوقعها.

3

أقام صديق لي كشكًا خشبيًّا، وكتب عليه «محدش مرتاح» للمشويات، استفزني الاسم، فسألته: ماذا يعني الاسم؟

فقال: لا أعرف!

وطلب مني العمل معه ووافقت!

4

رأيت دعاء كثيرًا على القنوات الفضائية تتحدث بغضب وقوة عن الأحداث وتعارض كل شيء، وقتها انتابني القلق، وأنكرت أنني ما زلت أحبها حتى الآن!

5

سألت مدرس العلوم: ما معنى التكوين الفكري؟!

فقال: غير موجودة بالمنهج، اطمئن!

6

بكيت وأنا أصلي وشعرت بارتياح، ولذلك سألت: لماذا يكرهون الدموع؟!

7

- لأنها خائنة سأقتلها.
- ستعرِّض نفسك للسجن!
- سأقتلها!
- متى؟
- خلال يومين.
- تأكدت من خيانتها؟
- رأيتها في فراشي.

(الحديث كان على المقهى وبصوت طبيعي).

8

انبهرت باحتفال ضخم لمحل جديد يتم افتتاحه، سألت: ماذا يقدم هذا المحل؟!

فقالوا: النفاق!

وتجاهلت الإجابة كي أستمتع بالمأكولات والمشروبات والأغاني.

9

قلت لأمي: أبي لا يأتي لزيارتي في المنام؟!

فقالت: ادعُ له، واترك المعاصي!

10

أعددت مذكرات تفصيلية لحلول المجتمع العصري، وذكرت باستفاضة أهم ملامح الفساد، واستخدمت الورق لتنظيف دورة المياه، وأصبحت نظيفة للغاية!

اليوم السابع عشر

1

في حادث بشع لقي أكثر من مئة شخص مصرعهم، سألت صحفي كان يلتقط صورًا للمشاهد المؤلمة: مَن السبب الرئيسي فيما يحدث؟!

فقال: إنها مشيئة الرب، من العبث أن تقول إن هناك متسبب!

2

أخبروني أن كريم صديقي فقد الذاكرة، ضحكت وقمت بطرد أخي من الغرفة، وجاء صديق مشترك بيننا وقال مرة أخرى إن كريم فقد الذاكرة، فتبوَّلت وهو يتحدث!

3

ابتسم بهدوء وحذر وقال: أنا لا أعرفك.. لكني أشعر بمن أنت؟!

فقلت اسمي، فنظر يمينًا ويسارًا وقال: أهلًا وسهلًا بك.. ثم بكى وبكيت!

4

سألت الطبيب: ما معنى فقدان الذاكرة؟

فقال : ألا تذكر أحد على الإطلاق

فقلت: حتى الأهل والأصدقاء؟!

فقال: لا تحزن.. سيتذكرك!

فقلت: هو في وضع أفضل الآن، سأدعو له.. وانصرفت.

5

انزعجت من خبر يؤكد أن في مناطق ما البشر يتحولون إلى حيوانات، ثم بحثت عن طريق لهذه الأماكن لكنني لم أصل لشيء!

6

بعد اجتماع مغلق لمدة ساعات مع الكاتب الكبير "صنع الله إبراهيم"، سألته: بصراحة.. أين تكمن المشكلة؟

فقال: في الذات!

7

هدمت أسوار كل المدارس والجامعات، وأسعدني ذلك كثيرًا، وعبرت عن ذلك بمقال كتبته، لكني لم أجد صحفًا إطلاقًا!

8

شاهدت فيلمًا سينمائيًّا راقيًا يتحدث عن الحب والرحمة، وتأثرت كثيرًا، لكني لم أتذكر منه شيئًا بمجرد خروجي من القاعة!

9

سألت أمي: لماذا نضحك على أنفسنا؟!

فقالت: لأنه لا يوجد خيارات أخرى.

وابتسمت فابتسمت!

10

استوقفني مراسل لقناة فضائية وسألني: ما توقعاتك لمباراة اليوم؟!

فقلت: الهزيمة بالتأكيد.

تبدلت ملامح وجهه وقال: لماذا تقول ذلك؟

فقلت: لأنه المعتاد.

فتركني وانصرف وهو يعتذر لمقدم البرنامج.

اليوم الثامن عشر

1

بكل سخرية سألني: ماذا تعمل؟!

فقلت: مصور.

فقال : وما الذي يروقك كي توثِّقه؟!

فقلت: الأيام وكفى!

2

قلت لأمي: أريد أن أبكي.

فقالت: ابكِ. لا أعلم هل ستتوفر الدموع لاحقًا أم لا!

3

اجتزت الاختبارات، وتم قبولي في مهنة "مهرج"، وتوقعت أن تملأ المساحيق وجهي والألوان، لكن المخرج قال: أدخلوه العرض.. شكله ملائم للغاية.

4

ذهبت لورشة صناعة المفاتيح وطلبت مفتاحًا للسماء، فأعطاني صاحب العمل برتقالة وخمسة جنيهات معدنية وانصرفت!

5

طلبت اجتماعًا مغلقًا بالألوان الستة الأساسية، اعتذر اللون الأسود، فاعتذرت باقي الألوان، واجتمعت بمفردي، وانتهى الاجتماع بقراري بعدم عقد اجتماعات أخرى مهما كان الأمر!

6

سألوني: ما أكثر ثلاثة أشياء للضحك؟

فقلت: الحرية، الديمقراطية، التقيؤ!

7

اقترحت على الناس في السوق أن ندعو الله بأن تمطر السماء ذهبًا كي تنتهي حالة الغلاء والبلاء، لكن لم يسمعني أحد، كل فرد كان يتحدث مع ذاته وبصوت مرتفع!

8

قلت لصديق لي: أريد الزواج.

فقال: لا داعي للانتحار!

قلت: أريد الاستقرار.

ابتسم وقال: لا داعي لهذه الكلمات سيئة السمعة!

9

ذهبت إلى الأستاذ نجيب محفوظ كي أسأله: كيف تجاهل في كل رواياته كل هذا الغلاء؟!

فقالوا لي: إن الأستاذ في ذمة الله!

10

سألت الشيطان الرجيم: وماذا عن طموحك الآن؟!

فقال: حققت كل طموحاتي.. وابتسم وانصرف!

اليوم التاسع عشر

1

أثناء حفلة الزفاف بكيت، فسألتني زوجتي: ما الأمر؟!

فقلت: مجرد إرهاصات، أنا بخير.

2

سألوني : ما الدليل على أن العالم ما زال بخير؟

فقلت: وجود الرقص حتى الآن!

3

قتلت ذبابًا ودهست صراصير ووضعت السموم للفئران، ولم أشعر بأي غضاضة في الضمير، لكني لا أنام جيدًا!

4

صرخت في عمرو واتهمته بالخيانة، وتطاولت عليه أمام الكثير من الحضور، فقام وبكل هدوء احتضنني وقال لي: اترك الأيام تفعل ما تشاء، فعدت كما كنت هادئًا واستكملنا المناقشة كأن شيئًا لم يكن!

5

قلت: لا يوجد شيء مغرٍ كي نأتي لهذا العالم البائس بأطفال آخرين، فقالوا: كافر!

فتراجعت عن كل أفكاري.

6

جلست مع العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ واحتسينا حلبة بالحليب ولم نتحدث في شيء إطلاقًا، وعند مغادرتي للمقهى رفض توديعي، لكني انصرفت سعيدًا.

7

عقب صلاة المغرب طلبت من إمام المسجد حضور حلقة تحفيظ القرآن للصغار، رحب بي واستمعت ورددت معهم وعدت للبيت سعيدًا للغاية.

سألتني زوجتي: ما الأمر؟! فقبَّلتها فقط!

8

سألني بائع الصحف: لماذا دائمًا تأتي الصفحات الرياضية في نهاية العدد؟!

ابتسمت وانصرفت دون إجابة، لأنني لا أعرف لماذا سألني الآن رغم أنني منذ ثلاثين عامًا أبتاع يوميًّا منه الصحف!

9

وجدت مجموعة قليلة من البشر ينامون في إحدى الحدائق، فسألتهم: ما الأمر؟!

فقالوا: ننتظر الربيع أو الأمطار أو الأزهار.

10

قلت كذبًا إن حذائي تم سرقته من المسجد، لكنني تركته بإرادتي كي أسير حافيًا!

ما أجمل هذا الشعور؟!

اليوم العشرون

1

سألت دعاء: لماذا يكسو الحزن ملامحك؟

فقلت: لأنني رأيتك فقط.

2

أثناء الصيد رأيت رجلًا طاعنًا في السن، كلما اصطاد سمكة ينظر إليها ثم يبكي ويعود ويكمل، وهكذا، اندهشت لغرابة الموقف وذهبت إليه كي أسأله عن ما يحدث، لكن بمجرد وقوفي بجواره رأيته ينظر للسمكة.. بكيت مثله!

3

طلبت من زوجتي مدَّخراتها الذهبية وساعة رقمية ووجبة طعام فاخرة، فقالت: لماذا كل هذا؟!

فقلت: سأمكث يومين في دار المسنين!

4

انتحلت هيئة صحفي في جريدة قومية، وسألت نماذج كثيرة من المواطنين عن تعريف الغلاء.

فجاءت معظم الإجابات دبلوماسية، عدا شاب أشار بيده إشارة لم أفهمها، وقال: افعل مثلها في الجريدة!

5

من شرفة غرفتي استمعت إلى الإذاعة المدرسية في المدرسة الابتدائية المجاورة لمنزلي، وسعدت للغاية بطريقة إلقاء الطالب ولغته الجميلة، لكن فناء المدرسة كان خاويًا، ومع ذلك جاء التصفيق حارًّا عندما ذكر اسم مدير المدرسة!

6

سألني الشاب الذي يعمل في المقهى: ألم تسأم القراءة؟!

فقلت: أدعو الله أن يعطيني القدرة على القراءة حتى آخر يوم في عمري.

قال: وما العائد من القراءة حتى الآن؟!

فقلت: سأقول يومًا ما.

7

وأنا أسير سعيدًا بأجواء وسط المدينة، استوقفني الخديوي إسماعيل، وسألني: ما رأيك؟!

ابتسمت له وقلت: لن أغفر لك، لا تحاول كثيرًا!

وتركته وانصرفت.

8

في المقابر أثناء دفن صديق لي توفاه الله جلست حزينًا صامتًا وسيدات كثيرات من أهل بيته يبكين ويقلن: مع السلامة.. مع السلامة.

فسألني صبي يافع: هل المتوفى يسمع ويرد السلام؟!

فقلت له: نعم.

9

أطلق طبيب شاب حملة لاستئصال جذور النفاق في جسد الإنسان وبتكاليف قليلة للغاية، ذهبت إليه وسألته: كيف جاءتك هذه الفكرة النيرة؟

فقال: إنها شيء من الدعابة! وابتسم.

10

تحدثت مع عدد كبير من النمل الموجود في بيتي وعملي وعلى المقهى، ودونت الدروس المستفادة، وطلبت من زعيم النمل إعداد مؤتمر صحفي يعرض فيه بعض هذه التجارب الناجحة، فاعتذر قائلًا: لا وقت لدينا لمثل هذه الأشياء الساذجة. وحمل قطعة سكر من أمامي وانصرف!

ما تبقى ولا يصح أن يقال..

1

على رقعة شطرنج دوَّنتُ ما تعرَّضتُ له في حياتي، المؤلم في المربعات البيضاء والمبهج في المربعات السوداء.

قبل انتهائي من السطر الأخير اكتشفت أنني لا أجيد هذه اللعبة!

2

عاتبني ابني الأصغر قائلًا: تتجاهلني عن عمد في كل رواياتك.

فقلت: هذا في صالحك.

3

سألتني زوجتي: ما الشيء الذي تتمنى التضحية بحياتك من أجله؟!

أربكني السؤال وفكرت قليلًا، أعادت السؤال بصرامة، فقلت بثبات: شارع نظيف!

اليوم الحادي والعشرين

1

في حفل تكريمي بمناسبة بلوغي سن التقاعد، سألني شاب صغير: ماذا كنت تتمنى أن تفعله ولم تستطع؟!

فقلت: الصعلكة!

2

انتابتني نوبة ضحك كبيرة ونحن على المقهى، فسألني عبد الرؤوف: ماذا حدث؟!

فقلت: أحداث كثيرة كلها تدعو للضحك. فضحك معي!

3

سألني مراسل لقناة فضائية: هل القرارات الاقتصادية الأخيرة في صالح محدود الدخل؟

فقلت له: سألت نفسك أولًا؟!

4

في محل الأزهار سألني البائع: لماذا لا تشتري إلا الأزهار حمراء اللون؟

فقلت له: لأنني أبكي كثيرًا!

5

وجدت نفسي أكتب يوميًّا مذكرات عن حياتي ثم أقوم بتمزيقها في اليوم التالي، ومع تكرار هذا سألت صديقًا لي عن تفسير هذا، فقام بتقبيل رأسي وربت على كتفي وظل يدعو لي كثيرًا!

6

كان لي أصدقاء من كل أنواع الأسماك، ذهبت أطمئن عليهم بعد فترة من القطيعة، فوجدت الكثير منهم قد هاجر، والبعض مات بالاكتئاب، حاولت التواصل معهم لكنهم رفضوا!

7

على الشاطئ رأيت فتاة تعانق شابًّا ويتبادلان القبلات، أعجبتني جرأتهما وتجلي حالة العشق بينهما، واقتربت من الفتاة وسألتها: ألم تخافي المجتمع، فقالت بثبات: الخوف توقف عندكم!

8

سألت حفيدي: كيف ترى الحياة؟

فقال: كل شيء مبهج عدا كتب التاريخ!

9

بكيت عندما قرأت أحلام فترة النقاهة لنجيب محفوظ، فسألتني زوجتي عن سبب البكاء، رفضت مصارحتها السبب، لكنها أدركت أن أحلامي دونها غيرى!

10

ذهبت لفنان مشهور وطلبت منه تعليمي الرسم، اندهش ورحب بي، وبعد أيام سألني: لماذا ترغب في التعلم الآن؟!

فقلت: لا أعلم!

اليوم الثاني والعشرون

1

لم تسعفني صحتي للانخراط في تجمهر المشجعين على بوابة الاستاد الرياضي، لكنني اقتربت منهم كنوع من المساندة، إلا أن العساكر المتواجدون أدخلوني بدعوى أنني رجل مسن، لكنني رفضت!

2

سألتني زوجتي: أما زلت تحبني؟!

فقلت لها: كل الأشياء تتحرك!

كررت السؤال، فابتسمت وقبلت جبينها فقط.

3

أرسلت لأكثر الصحف نفاقًا مقالًا صغيرًا يعدد مساوئ النفاق وخطورته، وتوقعت عدم نشره كالعادة، لكن المفاجأة كانت في دعوتهم لتكريمي ونشر المقال في الصفحة الثالثة!

4

صباحًا سألت حارس المدرسة المجاورة لبيتي: ما معنى الصمت؟

فقال: أن ترى ولا تتحدث إطلاقًا.

مساءً سألت مدير المدرسة، وهو صديق لي: ما معنى الصمت؟

فقال: أن تهرب من الرؤية كي لا تتحدث!

5

أعددت جدولًا لأعمال وزيارات ينبغي أن أقوم بها، لكنني لم أذهب لمكان سوى المقابر، وفي النهاية وضعت الجدول ضمن مذكراتي وذكرياتي.

6

زارني صديق أعرفه منذ الدراسة الجامعية، وأصبح أكبر رموز المعارضة، وبعدما تناولنا الغداء في منزلي سألني: ما الخطأ الأساسي في كل الأمور؟

فقلت: نحن.

فقال: من تقصد؟

فقلت: أنت وأنا والغداء!

7

أعلنت لكتبي أنني في جلسة استماع من الجميع، انسحبت كتب الفلسفة، والتزم الجميع الصمت، وتقدمت كتب التاريخ ثلاث خطوات إلى الأمام استعدادًا للحديث، لكنني تراجعت وخرجت من الغرفة دون أن أتحدث!

8

في المنام سألت أبي: ما هي نصيحتك لي؟

فقال: املأ الدنيا ضجيجًا، وابتسم.

9

تكاثرت العصافير وبات صوتها مزعجًا للغاية. ذهبت لهم كي أتوصل لحل، فاستقبلوني بابتسامة هانئة، فعفوت عنهم!

10

كتبت قصيدة عن الوفاء، وقمت بإلقائها في تجمع عائلتي بعد صلاة الجمعة، ابنتي صفقت لي بشدة، وابني الأصغر ابتسم بهدوء، وزوجتي بكت، فمزقت القصيدة!

اليوم الثالث والعشرون

1

استقبلني وزير التعليم بعدما أصررت على مقابلته، قال: تفضل، ما هي رؤيتك لتطوير التعليم؟

فقلت: إباحة الغش بشكل كامل.

ابتسم بهدوء، واتصل وأبلغ الأمن، ثم قال: تفضل، أكمل.

2

مزقت رواية "الحرافيش" لنجيب محفوظ إلى قطع صغيرة للغاية، المشهد أزعج زوجتي وسألتني بفزع: لماذا تفعل هذا؟!

فقلت: دعيني أدمر القوة الظالمة!

3

سألني شاب يعمل في المقهى: ما أكثر شيء يؤلمك؟!

فقلت: الحنين.

4

تقدمت بطلب تأشيرة لأداء فريضة الحج، ولم يحالفني التوفيق في الفوز بها، فبكيت، فسألني ضابط شاب: لماذا البكاء؟

فقلت له: كنت أتمنى أن أرى البشر سواسية.

ربت على كتفي وانصرف.

5

اتصلت بصديق لي هاجر إلى أوربا منذ أكثر من ثلاثة عقود، وسألته: لماذا لا تعود وترى حياتك القديمة؟

فقال: لم أعد أستطع رؤية الزيف.

6

في يوم ميلادي الثالث والستين، جلست على سطح منزلي، وبدأت في قذف بالونات ملونة على المارة في الشارع وأنا أضحك دون أن يراني أحد!

7

استوقفني طفل يأكل من صندوق القمامة، أشفقت عليه ومنعت ودموعي من السقوط، وسألته دون قصد شيء معين: لماذا تأكل من القمامة؟

فقال: لكنك ترانا منذ سنوات ولم تفكر أن تسألنا!

8

-فقلت لزوجتي : لماذا نخاف من الأمطار مع إنها خير لنا؟!

- فقالت : لإننا نجيد الخوف..!

9

وجدت السماء تمطر أشياء خضراء لا أعلم ماهيتها، انزعجت في بداية الأمر، لكن فيما بعد اطمأن قلبي، الصحف لم تستنكر ما حدث وأكدت أن الناس سعداء، وبالتالي أصبحت سعيدًا مثلهم!

10

إرضاءً له، لبَّيت رغبة حفيدي، وذهبت أشاهد مباراة فريقه مع الفريق المنافس، أدهشتني مهارات حفيدي وقدرته على المراوغة وإحراز الأهداف، وبعد اللقاء سألني عن رأيي، فقلت له: رائع، لكن لا داعي للمراوغات الكثيرة!

اليوم الرابع والعشرون

- كانت ليلة كابوسية رأيت فيها أحلامًا غرائبية أفزعتني.

1

كنت على الترعة في قريتنا، نلعب ونلهو كالمعتاد إلى أن جاء أحد فتوات القرية وانتزع الكرة من بيننا، ساد الصمت ولم يتحدث أحد منا، حتى قلت له: لماذا تأخذ الكرة؟!

فقام بإلقائي في الترعة، وأصدقائي ما زالوا صامتون!

2

رأيت ابنة جيراننا في منزلنا أسفل السلم الخشبي في حضن شاب يسكن في منطقة مجاورة، أفزعهما وجودي المفاجئ، حاول إعطائي مبلغًا من المال لكنني رفضت، وطلبت مني ألا أخبر أحدًا بما رأيت، لم أقل شيئًا، جسدها كان عاريًا بارقًا ووجهها مظلم للغاية!

3

حاصرنا رجل شرطة بشكل مفاجئ ونحن نلعب القمار داخل أسوار المدرسة، صفع زميلي، وقبل أن يأتي إليَّ، أخرجت له كل النقود، وقسمت له ما ربحته من اللعب، وما أعطاه لي أبي، أخذ كل النقود لكنه لم يصفعني!

4

أرغمتنا مدرسة الرياضيات على دورس خصوصية رغم أن أهالي المنطقة من محدودي الدخل، فقررنا سرقة حقيبتها نهاية كل شهر، وفي إحدى المرات سقطت متلبسًا، فقلت إنني أساعد الفقراء، وبكى أبي مما حدث!

5

في حفل خطوبتي كنت حزينًا للغاية، سألني صديقي: لماذا لا تبتسم؟!

فقلت: أرى الجميع عرايا!

6

سألني الوزير: ما الشيء الذي تتمنى تحقيقه؟!

فقلت: ضرب مدير المدرسة على وجهه وسب والدته في الميكروفون!

7

ذهبت لشراء صحيفتي المفضلة كالمعتاد، رفض البائع، فسألته عن السبب، فقال: لا بد أن تتبول في وسط الشارع أولًا!

8

في حفل غنائي كبير، وجدت جميع الحضور مبتهجين سعداء مع أن المسرح خالٍ تمامًا، اندهشت، وقبل أن أتساءل عن السبب أخرجوني فورًا!

9

كان بجوارنا رجل ثري ويبني بيوتًا كثيرة، وعندما قتله ابنه بكيت عليه، فسألتني أمي: لماذا كل هذا البكاء؟!

فقلت لها: على رمال البناء، كنت أصنع منها بيوتًا كثيرة مثله، الآن ذهبت الرمال إلى الأبد!

10

قررت الدخول مع الزمان في سباق، استعنت بدراجتي الصغيرة، اشتريت لها إطارات جديدة، وبعدما تجاوزت سيارات كثيرة وقعت في البحر، لكنني رأيت الدراجة ما زالت تسير وأنا أغرق!

- قمت وصليت واستغفرت ربي كثيرًا.

اليوم الخامس والعشرون

1

استيقظت من النوم على أصوات غريبة تدق صدري، نظرت في المرآة فوجدت أن عمري قد تقدم حوالي عقدًا كاملًا، وشعري أصبح أبيض خالصًا، سألت زوجتي: لماذا تبكي؟!

فقالت: صديقك رحل!

2

بعد انقطاع دام ثلاثة وعشرين عامًا قررت القيام برحلة صيد ولكن بمفردي، الأجواء جميلة والبحر هادئًا ولكن بلا أسماك، سألت المراكبي: ما الأمر؟!

فقال: عليك بمراجعة نفسك قبل الصيد.

3

وجدت وزير سابق يحتسي القهوة على قارعة الطريق بمفرده، جلست بجواره، نظر لي ولم يتحدث معي، قلت له: الشوارع تشعر بالمعاناة.

فقال: أرجوك، لا داعي لأي حديث، أنا أشرب القهوة ولا أتذوقها منذ خروجي للتقاعد!

4

جمعت مئات العملات المعدنية – فئة جنية واحد – وبدأت أسير في الشوارع، عند ناصية كل حارة صغيرة، ألقى بعملة وألقى عليها حفنة من التراب كأنها بذور، كنت سعيدًا بما أفعله إلى أن تم القبض عليَّ وخروجي بضمان محل الإقامة وتوسل أبنائي للضابط الشاب!

5

سألت النهر: لماذا تضحك بهذه الطريقة البذيئة؟!

فقال: كي لا أبدو خانعًا مثلك.

6

في مكتبة عتيقة التقيت "د". كان اللقاء الأول منذ ثلاثين عامًا وربما أكثر.

بابتسامتها الصافية سألتني: كيف حالك؟!

فقلت: أراجع العمر الآن.

انصرفت وكأن شيئًا لم يكن!

7

سألتني زوجتي: ماذا قال لك الطبيب؟

فقلت: أخبرني أنه معجب بروايتي الأخيرة، وطلب توقيعي عليها.

انصرفت، وابتسمت.

8

أعجبني إعلان لفيلم سينمائي جديد، ذهبت لمشاهدة الفيلم، البطل مريض للغاية، والطبيب قدم للبطلة الحل الوحيد للعلاج، الإغراء الجنسي، وفعلت مثلما قال لها الطبيب، لكن البطل مات، أرهقتني الفكرة لدرجة البكاء.

9

قلت لحفيدي: أريد تربية الحمام وأستمتع بتوجيه أسراب كثيرة منه بالطيران.

فقال: الآن، الطيران حرية، لا يوجد "توجيه" الآن يا جدي!

10

جاءني "يوسف إدريس" ضاحكا، سألني: لماذا تبدو حزينًا هكذا؟!

فقلت له: الأجواء أرهقت قلبي.

فقال: لأنك ساذج!

اليوم السادس والعشرون

1

توقفت عند ماكينة الصرف الآلي، وأجريت عملية سحب مبلغ من أموالي، فوجئت بسؤال على الشاشة، ما هو مقدار السعادة في عمرك؟!

اندهشت وهرولت أستنجد بخدمات حارس البنك، وعندما جاء معي وجدت الشاشة تأسف لعدم وجود رصيد بحسابي!

2

فوجئت برسالة من زميلة كانت معي في العمل تسألني عن حياتي وعن مشاريعي القديمة؟

قلت لها: لا جديد، ولا رغبة لي في عمل أي شيء.

قالت: لأنك حتى الآن لم تستطع رؤية من يحبك!

3

ذهبت للمدرسة الابتدائية المجاورة لمنزلي، التقيت بمدرس اللغة العربية، وطلبت منه حضور امتحان نهاية العام، حاول المدرس إخفاء اندهاشه، وسألني لماذا تحديدًا اللغة العربية؟

فقلت له: أريد أن أكتب تعبيرًا عما بداخلي قبل أن ينتهي الوقت!

4

قررت الجلوس مع زوجتي في غرفتها لمدة يوم كامل، كل أبنائي تعجبوا، خاصة أنني منذ اشتداد المرض عليها لم أجلس معها أكثر من دقائق، ابتسمت فابتسمت ولم نتحدث وهذا كان اللقاء الأخير بيننا!

5

في الحلم جاءت زوجتي لتحثني على العمل بجد في كتابة أحلام فترة نقاهتي، سعدت برؤيتها وهممت أحتضنها، فانصرفت!

6

اكتشفت أن هناك بطولة كرة قدم تسمى "بطولة الأحياء الشعبية"، اللعب على أرض ترابية ودون أحذية، أعجبتني جدًّا الفكرة وبساطة تنفيذها، وواظبت على حضور المباريات حتى تم تعييني رئيسًا للجنة المسابقات، وكنت بلا حذاء أيضًا!

7

طلب مني ناشر شهير كتابة مذكراتي الشخصية عن أهم ما عايشت من مواقف وأحداث، فقلت له: وما الجدوى؟

فقال: التوثيق والاستفادة.

فقلت: الظلم كان عاملًا مشتركاً في كل شيء رأيته ، قل لي ماذا ستفعل ؟!

8

وجدت مظاهرات كبيرة تعم الشوارع والميادين، سألت عن السبب، فقالوا: هذه مسابقة مبتكرة ليس إلا!

9

تحدثت مع الكلب المتواجد لحراسة المنزل، قلت له: ماذا تريد كي تحقق السعادة؟!

فقال: أن تطلق سراحي، السعادة بلا تلك القيود.

10

سألني ابني الأصغر متأثرًا: لماذا يا أبي يملأ الحزن قسمات وجهك؟

فقلت: لأنه صادق.

اليوم السابع والعشرون

1

نزعت عشرة مصابيح من بيتي وصنعت منهم صفًّا ثم بدأت بقذفهم بالحجارة، استمتعت بتحطيمهم، وقبل أن أقذف المصباح الأخير وجدته يستوقفني باكيًا، وقال: هناك أشياء أخرى تستحق القذف ليس من بينها النور!

2

استمتعت بتدخين أول سيجارة لي في عيد ميلادي السبعين، سألني ابني بفزع: لماذا يا أبي؟!

تجاهلت وجوده من الأساس، وأكملت بناء سحب الدخان المنبعثة من أنفاسي وأنا أضحك من القلب!

3

سألت مطربًا شعبيًّا – كان ملء السمع والبصر في وقت مضى: كيف ترى حياتك السابقة؟

فقال: شيء لخداع جزء من البشر!

4

سألني رئيس الحي الجديد: ما أكثر شيء يحتاجه الحي الآن؟

فقلت: لافتة كبيرة مكتوب عليها "إياكم وسب الدين"!

5

سألني طبيب مخ وأعصاب: ما أعظم شعور إنساني في رأيك؟

فقلت: الندم.

فقام واحتضنني وأصرَّ على أن أتناول معه الغداء.

6

أعجبني هدوء رجل كفيف أراه دائمًا في المسجد، ذهبت إليه رغم عدم معرفتي به، قلت له: أريد الحديث معك، فقال: تعلَّم الابتسام أولًا قبل الحديث، وقام وتركني!

7

جلست بمفردي يومًا كاملًا، أحببت العزلة، اتصلت بأبنائي قلت لهم: إنني سأسافر يومين، وأكملت عزلتي، تعلمت البكاء بصدق، كم كان الموضوع جميلًا!

8

جاءني في الحلم العبقري "نجيب محفوظ"، سعدت للغاية برؤيته وأخبرته بمشروعي الجديد المشابه لـ"أحلام فترة النقاهة"، ابتسم وقال: الأفضل، أن تكتب عن "الحرافيش".

9

كتبت مقالًا ساخرًا ينتقد السطحية غير المبررة لأداء نواب الشعب، رفضه رئيس التحرير قائلًا: إن ظروف الوطن لا تسمح بمثل تلك المقالات الساذجة، لأننا في مرحلة العمل.

10

سألت حفيدي: ماذا ستفعل بمكتبتي إن كتبتها لك بمفردك؟!

فقال: أرجوك ألا تفعل ذلك يا جدي!

اليوم الثامن والعشرون

1

جلست عند سور حديقة قديمة للغاية، الصبية يتبارون في إطلاق طائراتهم الورقية لأقصى نقطة ممكنة، لكن وجوههم واجمة، فاجتمعت بهم وطلبت منهم الابتسام، ابتسموا لي وأكملوا بنفس الوجوم فانصرفت.

2

انتبهت إلى أنني وحتى الآن لم يسبق لي إقامة أي أذان لأي صلاة، ذهبت للمسجد وطلبت أن يسمحوا لي بالأذان، فقال الإمام: واظب على صلاة الفجر لمدة شهر ولك الأذان فيما بعد!

3

سألني كاتب شاب: ما المشهد الذي فشلت في كتابته؟!

فقلت: امرأة تبكي وتلقي بالتراب على وجهها لوفاة زوجها، لكن صغيرها أخرج زجاجات مياه وظل يسكب منها أمام المنزل بكل ثبات!

4

اجتمعت بسرب من الحمام على سطح منزلي، وطلبت منهم أفكارًا مختلفة لأعمال إبداعية جديدة، فقالوا جميعًا: ما أجمل اليأس!

5

التقيت "إبراهيم أصلان" على مقهى شعبي يدخن بشراهة، جلست بجواره وسألته بهدوء: ما رأيك في الأوضاع حاليًا؟

ابتسم وربت على كتفي ولم يقل شيئًا!

6

مزقت كل أوراق التقويم الميلادي، كل ورقة إلى ثمانية قطع صغيرة، وافترشت أرضية غرفتي بهم ثم استلقيت، فنمت نومًا هادئًا لأول مرة منذ سنوات!

7

استمعت لأكثر من قصيدة بصوت السيدة أم كلثوم، فبكيت بشدة، احتضنني حفيدي وأضاء أنوار الغرفة وسألني: ما الأمر؟!

فقلت: لم أعرف لذة الحب حتى الآن!

8

اتصلت بصديق قديم جدًا وسألته: كيف تصف الحياة؟!

فقال: سؤال ساذج من عقل أرهقه التفكير، تلك هي الحياة!

9

قلت لابني الأكبر: أمك لم تأتِ لزيارتي ولو لمرة وحيدة في المنام منذ وفاتها!

فقال: تنتظر سؤالك عنها يا أبي.

10

قلت لصبي صغير لا أعرفه يجلس بجواري على المقهى: إياك والهروب يا بني، الهروب هو الخيانة.

قام وانصرف وهو ينظر لي بعيون شاردة يملأها الغضب!

اليوم التاسع والعشرون

كنت على فراشي أستقبل الموت بهدوء، وسمعت حفيدي يتشاجر، حاولت سماع ما يجري بدقة، سبَّته سيدة مسنة تمتلك البيت المقابل لنا، وحذرته من اللعب في الحارة مرة أخرى، وأطلقت وابلًا من الشتائم القذرة، رد حفيدي، رده كان بقوة مماثلة ودون ألفاظ خارجة، قال لها: الحارة ليست حكرًا عليكم، أبناؤك يلوثون الهواء بالغازات السامة في ورشتهم ويزعجوننا، لن ألعب في الحارة عندما يتوقف هذا الإزعاج، ولا داعي لهذه النظرة، أنا أستطيع رد الإهانة بأكثر منها لكني لن أفعل. واستكمل اللعب.

أغمضت عيني مرتاح البال، جاء من يواجه ولو بعد حين.

اليوم الثلاثون

لم يتبق شيء ليقال، انتهى الأمر.